Said Badawi

أراشيف رقمية لفلسطين: الذاكرة والمعرفة في سياق الانسانيات الرقمية

مقدمة:

تتناول هذه الورقة بالتحديد خصوصية الجسم المتنامي للأرشفة في السياق الفلسطيني، مع الإشارة بشكل خاص الى المحتويات الرقمية، والمساهمة الكبيرة والرائدة للإنترنت في الأرشفة نفسها، والتي أدّت بدورها إلى تغيير محتوى الأرشيف والسرد، وما نتج منه من روايات وسرديات مختلفة، إضافة إلى إنتاج قصة لفلسطين ضمن الأرشيفات التقليدية والأرشيفات الرقمية على الإنترنت.

كما تسعى هذه الورقة لتبيان كيف يمكن توظيف هذا التطور في حقل الأرشفة والرقمنة، بالنسبة للشعب الفلسطيني الذي هُجر في أصقاع الأرض، وسُلبت حقوقه، ، من أجل البحث في الفرص التي غدت متاحة أمام الأجيال الجديدة لتروي تجاربها ومعاناتها، وتوثق ما رواه الأجيال من تجارب ومعاناة، وبالتالي استخلاص التحديات التي يواجهها هؤلاء، وخصوصًا على مستوى إثارة الاهتمام بالقضية الفلسطينية، بمعزل عن الصراعات المحلية المتنامية في الفترة الأخيرة، وفي ظل الظروف التي تتحكم في انتقائية الذاكرة، وتضع لها أولوياتها.

بالترافق مع هذه التحولات المحاطة بجملة مفارقات معززة بأوهام كبرى، بتنا نشهد مجموعات وأفرادًا عانوا التهميش المترتب عن انتقائية الروايات التاريخية والرسائل الإعلامية، يحاولون الذهاب عكس هذا المنطق، ويجهدون لرواية تجاربهم بأنفسهم، بلا وسيط، فتم تأسيس مواقع إلكترونية تعود إلى أقليات ومضطهدين،

ومستضعفين ومهمشين، يسعون، من ناحية، لتوثيق تجاربهم، فردية كانت أم جماعية، ولصيانة ذاكرتهم الجماعية من ناحية ثانية، حفاظًا على هوياتهم[1].

إلى جانب المرجعية الثابتة والتي لا مفرّ منها إلى الأرض المفقودة والمنشودة، يُعزّز الإدّعاء المثير للاهتمام بشكل خاص بأن "أرشيفات فلسطين"؛ علماً بأننا نتحدث عن الماضي، تساهم أيضاً في إنشاء قصص سردية قوية حول مستقبل الأرض المفقودة والتي لا تزال إلى اليوم مرغوب بها للمستقبل. وأخيراً، وبالرجوع إلى مقدمة هذا المقال، فإن الأرشيفات الرقمية، باعتبارها مواقع لإنتاج الذاكرة الفردية والجمعية بصورة مقصودة تعتبر مماثلة للفنون والأدب من حيث احتفاظها بالكلمات والدلالات التي يتم جمعها بشكل متعمّد.

وكما كتب المؤرّخ بشارة دوماني عام 2009:

إن حمّى الأرشيف تنتشر بين الفلسطينيين في كلّ مكان، سواء في رام الله أو لندن، حيفا أو سان فرانسيسكو، بيروت أو الرياض؛ حيث يقوم أشخاص أو مجموعات معينة بإجراء مقابلات مع كبار السن وجمع معلومات حول الأنساب والسلالات، والبحث عن الصور والرسائل، وجمع المنسوجات والأغاني الفلكورية "الشعبية"، وزيارة المقابر وترميمها، وفحص المخطوطات وإصلاحها، وجمع المعلومات حول البيوت القديمة والقرى المدمّرة؛ ويعتبر ذلك أشبه بطرف جبل جليدي يصعب تخيّل أبعاده الكاملة[2].

وقد أكدّ دوماني على أنّ أسباب هذه الظاهرة هي ثلاثة على الأقل؛ أولاً: تعتبر أرشفة ومتابعة الذاكرة الجمعية والحفاظ عليها أساسية لأي مجتمع (قد تعرّض ولا يزال يتعرّض لنزع الملكية والعزلة). ويعتبر ذلك جزءاً من آلية التكيّف التي تقتضي التذكر، والأهّم من ذلك كله، السرد. ويشير دوماني أيضاً إلى أن عملية نزع الملكية هذه لا تزال مستمرة وتعتبر من أحد الأسباب المؤدّية إلى وجود دافع قوي جداً لاسترجاع الذكريات وجمعها بعد أكثر من ستين عاماً. كما كتب دوماني: "عام 1948 لم يكن مجرّد لحظة، إنمّا هو عبارة عن عملية مستمرة ...". كما أنه كرّر ما كتبته الروائية والشاعرة والدكتورة سوزان أبو الهوى في روايتها "الصباحات في جنين" حيث تحدثت عن "عام 1948 الخالد:[3]"

---

[1] نهاوند القادري عيسى، الذاكرة الفلسطينية في ضوء التكنولوجيا الحديثة، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 70، صيف 2016، ص 61.

[2] دوماني، بشارة. "أرشفة فلسطين والفلسطينيين: إرث إحسان النمر". أوراق عائلية دراسات في التاريخ الاجتماعي المعاصر لفلسطين. زكريا محمد وآخرون (تحرير).الطبعة الأولى.القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية، 2008، ص 15.

[3] المصدرنفسه، ص16

في خضّم الحزن والأسى الذي يمتاز به التاريخ المدفون حيّاً، أصبح عام 1948 في فلسطين غير مدرج في التقويم وأصبح مُغترباً؛ حيث لم تعد الأيام والشهور والسنوات تحصى أو تعدّ، بل أصبح ذلك العام أشبه بغشاوة لامتناهية للحظة واحدة من التاريخ. إنّ الإثني عشر شهراً من هذا العام قد أعادت ترتيب نفسها عشوائياً في قلب فلسطين.

الذاكرة / المعرفة والانسانيات الرقمية:

تشكّل الأراشيف الرقمية الفلسطينية أحد أهم الفضاءات المعرفية المعاصرة لحفظ الذاكرة التاريخية الفلسطينية وإعادة إنتاجها، لا سيما في ظل السياق الاستعماري الاستيطاني الذي تعرّضت فيه الأراشيف المادية الفلسطينية عبر عقود طويلة للتدمير، والمصادرة، والتشتيت الجغرافي والمؤسسي. ونتيجة لهذه التهديدات البنيوية، برزت الأرشفة الرقمية بوصفها ممارسة بديلة ومقاومة، تسعى إلى صون السردية الفلسطينية وضمان استمراريتها خارج الأطر التقليدية الخاضعة لهيمنة سياسية ومعرفية.

في سياق الإنسانيات الرقمية، لا تقتصر الأراشيف الرقمية على كونها مستودعات للحفظ والتخزين، بل تتحول إلى منصات ديناميكية لإنتاج المعرفة، وإعادة تنظيمها، وإتاحتها بطرق تفاعلية تتجاوز الحدود المكانية والزمنية. كما تتيح هذه الأراشيف إمكانات جديدة لإعادة قراءة التاريخ الفلسطيني، وربط الذاكرة الفردية بالجماعية، وتفكيك البنى المعرفية الاستعمارية التي طالما سيطرت على تمثيل فلسطين في الأرشيفات الرسمية.

غير أن هذه الأراشيف تواجه تحديات معقّدة تتعلق بالإتاحة العادلة، والاستدامة التقنية والمالية، والسيادة المعرفية، إضافة إلى الأسئلة الأخلاقية المرتبطة بالتمثيل، والخصوصية، وسياق الإنتاج الرقمي نفسه. من هنا، يسعى هذا البحث إلى دراسة الأراشيف الرقمية الفلسطينية من خلال تحليل مفهومي الإتاحة والاستدامة في إطار الإنسانيات الرقمية، بوصفهما عنصرين حاسمين في ضمان بقاء الأرشيف الرقمي الفلسطيني كأداة معرفية حية، قادرة على الاستمرار والتأثير في الحقول الأكاديمية والثقافية والسياسية.

التكنولوجيا الرقمية والذاكرة:

أدت التطورات التكنولوجية والاتصالية الراهنة إلى تحرير فضاءات الكلام، وساعدت في ظهور الفرصة لإيجاد فضاءات بديلة جرى استثمارها من طرف الجميع. لكن الفضاء الالكتروني السياسي المتعدد لم يكن بمنأى عن التجاوزات من كل نوع، إذ إن تعبيرات الناس العاديين السياسية حملت معها أحيانًا عنفًا لفظيًا وعدم تسامح، وعنصرية وتعصبًا، وتحولت المنتديات الإعلامية، من ناحية، إلى مرتع لكثير من الانحرافات والصيغ التلقائية باسم "الأنا"، وتحت عنوان "أعتقد أن"، وإلى نوع من المتنفس للأحكام المسبقة والشخصية، جرّاء عدم تمكنّها من إنتاج نقاشات نوعية[4]. وتحولت المنتديات من ناحية ثانية إلى فضاءات لردات فعل على الأحداث، ولإسماع الصوت ومجابهة الآخر، متضمنة كثيرًا من الآراء المثبتة. بهذا المعنى يمكن القول إن هذه المنتديات تغذي الثقافية المدنية، وتساهم في توسيع حقل الفضاء العام. فالفضاء العام الذي كان في الأساس محصورًا بأفراد يناقشون بطريقة عقلانية موضوعات تسمى مصلحة عامة، بات يحتضن اليوم العديد من الأماكن واللحظات الحوارية التي يجري فيها مناقشة جميع أنواع المسائل العامة والخاصة بطريقة عقلانية وعاطفية، وضحى الفرد كائنًا اجتماعيًا يشهد على تجربته الشخصية، فلم تعد الحجة (بالمعنى الكلاسيكي)، ولا البلاغة الخطابية، من سمات التبادل، ولم يعد البحث عن المصلحة العامة ولا مكانة الفرد ومستوى معلوماته من شروط التعبير عن الجدل. فالنقاش يمكن أن يحدث بطريقة غير تزامنية ولا معتمدة على الحضور وجهًا لوجه[5].

[4] نهاوند القادري عيسى، مصدر سابق، ص 60.
[5] المصدر نفسه، ص 61.

غير أن هذا العالم الافتراضي المثقل بموجات المعلومات المتسارعة والمتضاربة، والذي يرتاده مستخدمون، أمّا متطلبون قادرون على الإبحار وعلى الانتقاء، وإمّا مشتتو الانتباه الذين هم عرضة للغرق في لجة المعلومات الفائقة الغزارة، يقابله عالم واقعي تشهد فيه مجتمعاتنا مزيدًا من الخضّات والتحولات والصراعات الحادة التي تتمظهر في حروب معلومات متعددة الأشكال، ويصعب فيها تبيّن الخيوط الفاصلة بين المنتج والمستهلك، والمعلم والمستعلم، والراوي والمستمع، والمرئي، ويترافق ذلك مع تمجيد للحظة والآنية، ومع انزلاق بطريقة هستيرية نحو المُلِحّ والسريع، بحيث تبدو "الميديا" معلقة بين عدمين: الماضي المحتقر وغير المعترف به، والمستقبل المقلق وغير المفكّر فيه.[6] في ظل هذا الواقع العربي الذي وصفه الروائي إبراهيم نصر الله بأنه "رخو، والآن متفسخ تمامًا، يصبح التذكر مسألة كبرى، وتصبح الحرب حرب ذاكرة، ففي مسألة النسيان لا وجود للأعداء، لأن النسيان شكل من أشكال الموت السريري الذي يريدون فرضه علينا بشتى الطرق، سواء بتقليم أظافر الذاكرة أو باقتلاع أعينها[7]. وهذه الحرب تشنّ على الذاكرة الفلسطينية على مستويين، مستوى العدو وما يناصره من إعلام، ومستوى إعلام عالمي يقدم الدعم للرواية الصهيونية.

وفي معرض البحث في فضاء الإنترنت نصادف مواقع إلكترونية، ومدونات، وصفحات في شبكات التواصل الاجتماعي، متعددة ومتنوعة في أغراضها وغاياتها، وفيما تتضمنه من محتويات يتمفصل فيها الفردي مع الجماعي، والقضية الفلسطينية مع مسائل شخصية وفردية، والماضي مع الحاضر مع المستقبل، وتتباين فيها الاهتمامات تبعًا لمطلقيها، وطبيعة عملهم، وجنسهم، ومكان إقامتهم، واللغة التي يكتبون بها، والفئة التي يخاطبونها[8]. واللافت أنه مع هذا الفضاء الرحب الي يضم جميع الفئات، ومختلف الأعمار، والاتجاهات، وبمعزل عن منطق مشغّلي الإنترنت الذين يملون اعتباراتهم وشروطهم الناعمة على المستخدمين بحيث يتم تأطيرهم مسبقًا من دون أن يدروا، يتبين للوهلة الأولى أن الكلام على القضية الفلسطينية خرج عن الإطار التقليدي الذي كان محصورًا فيه. فبعدما كان التاريخ لهذه القضية عرضة لوجهات نظر انتقائية وأحادية منقطعة في كثير من الأحيان عن مضامينها الاجتماعية وعن سياقاتها المحلية والإقليمية والعالمية، غدا الكلام حولها منفلشًا أفقيًا، وغدت الذاكرة الجماعية عرضة لمزيد من التشتت[9].

[6] المصدر نفسه، ص 62
[7] المصدر نفسه، ص 62.
[8] المصدر نفسه، ص62.
[9] المصدر نفسه، ص64

وتجدر الإشارة إلى أن مسارات البحث في هذه القضية تحمل من التعقيدات والعقبات ما يجعل الباحث في حالة قلق دائم إذا ما أراد أن يخرج من حيز سرد محطاتها وتحولاتها إلى حيز التفكير فيها وفي المعاني المعطاة لها، وخصوصًا في ظل التجاذب الجاري غالبًا بين الذاكرة والبحث التاريخي. وفي هذا السياق يتساءل وجيه كوثراني عن "إمكانية أن يكون للبحث التاريخي ومهنة المؤرخ دور تصحيحي للذاكرات التي قد تجنح نحو الأسطورة في ظل التجاذب بين الماضي والحاضر، وفي خضم الصراع بين الذاكرات التاريخية الجماعية التي لم تهدأ والتي تستثيرها على الدوام أسئلة الحاضر وهمومه المحلية، ليستنتج في نهاية المطاف أن أزمنة النهوض العربي هي أيضًا أزمنة المؤرخ العرب"[10].

إن غالبية المجتمع الفلسطيني لاجئين أو ابناء لاجئين ولذلك، وحيث أن الاقلية العظمى من المجتمع الفلسطيني من غير اللاجئين فليس أمامهم سوى الإندماج والإنخراط في تركيبة المجتمع الفلسطيني الاوسع، الذي أصبح بمجمله منوطا بشبكة معقدة من المواطن المتشابكة عبر حدود دول المشرق العربي[11].

الأرشيف هو فعل وليس اسم. إن آن لو را ستولير تتحدث عن المردود الأرشيفي في المستقبل على أنه تحول من النظر للأرشيف كمصدر الى موضوع وهذه الحقيقة من الضروري فهمها في السياق الفلسطيني: فإن ما يوخذ على انه شهادات مخفية عن الإحتلال الغاشم ينبغي أن يعامل كوثيقة أرشيفية خرجت من صدر إنسان تابع ومضطهد، وهو الآن يروي ويعبر عن نفسه، لذلك، فإن أهمية الارشيف الفلسطيني، تكمن في قدرته على إعادة خلق نفسه ليعوض به غياب دولة فلسطين، أو بالأحرى إنعكاس لدولة فلسطين[12] .

هناك مؤسسات تحتفظ بأرشيفات مثل الجامعة العربية، ومنظمة التحرير الفلسطينية، والسلطة الفلسطينية، إضافة الى دول مختلفة كانت لفترة طويلة او قصيرة مضيفة لمجموعات مختلفة من المجتمع الفلسطيني المُهجر العابر للحدود، مثل مصر وسوريا ولبنان والاردن وإسرائيل، لا يمكن إنكار أنه في حال تفكيك الارشيفات الفلسطينية أو تفنيدها، فإن هذا الأمر سيكون أكثر صعوبة من العمل في أرشيف دولة واحدة. ففي المقام الاول، تطبق معظم المنظمات والدول التي تم ذكرها، قوانين صارمة للدخول إلى أرشيفاتها، ففي

[10] وجيه كوثراني، الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل: دراسات في البحث والبحث التاريخي، بيروت: دار الطليعة، 2000، ص24_25.
[11] روجر هيكوك، مصدر سابق،ص174
[12] Laura Ann, Stoler. .Sense Common Colonial and Anxieties Epistemic: Grain Archival the Along. 2009,p.44.

بعض الحالات، كما في مصر، يستحيل على الباحث الدخول الى الارشيف، وبخاصة اذا كان الموضوع يتعلق بأمر ذي حساسية للدولة أو للأشخاص المعنيين.[13] .

وفي المقام الثاني فإن البيانات المسترجعة تكون في أحسن الأحوال مشرذمة، وبخاصة عندما تصف هذه البيانات واقعا اجتماعيا، فاننا نجد أرشيفات مجزأة ومشرذمة، هذا ان لم تكن بدائية في وصفها صورة الناس المعنيين وواقعهم. وحتى في الحالات التي لا توجد فيها معوقات للدخول الى أجزاء من أرشيفات هذه المؤسسات، فإنها غالباً ما توفر رؤية مشوهة. ويمكن الإشارة للتدليل على ذلك إلى الطرق المتباينة التي يتم على أساسها تصنيف اللاجئين الفلسطينيين وتحديد أهليتهم ومعاملتهم على سبيل المثال في الاردن ولبنان. وفي المقام الثالث، لا يوجد إجماع إلى من ينتمي هؤولاء الفلسطينيون[14]؟

أرشيفات رقمية :

على الرغم من تعاظم الأسئلة المؤرقة والمصيرية التي تلاحقنا في هذه الفترة، فإنه كان من اللافت انشغال الفلسطينيين بذاكرتهم كأنها مكانهم المفقود، إذ رأى البعض في هذه الذاكرة أنها "تؤسس شيئًا، بقدر ما تؤكد وجوده. وهذا ما يبدو، في وجه منه، متسقًا مع الاستعمال اليومي للذاكرة، وهذا ما يحيل، بدوره، إلى مادة التذكر نفسها، بوصفها مكانًا. ذلك أن الصور الفوتوغرافية التي يقوم المتحف الفلسطيني، بجمعها ورقمنتها، وتحصيل شهادات من أصحابها، في مشروع تحت اسم "ألبوم العائلة"، لا تُرى كصور أرشيفية فحسب، بل كمكان للإقامة.

[13] روجر هيكوك، مصدر سابق، ص 173.
[14] روجر هيكوك مصدر سابق، ص 172.

أرشيف المتحف الفلسطيني الرقمي

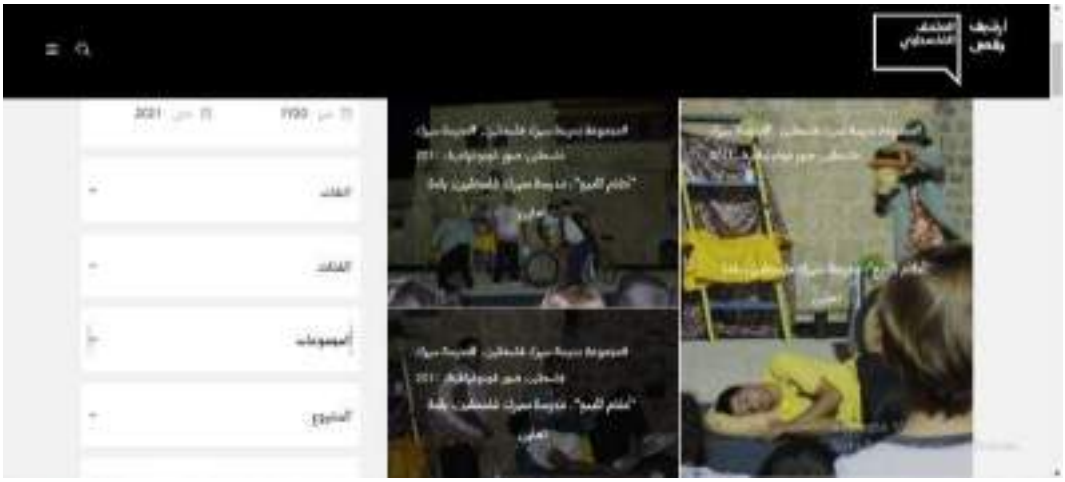

منهيجة الرقمنة في هذا المشروع للمتحف الفلسطيني: تقوم بالتركيز على رقمنة المجموعات الخاصة سواء أكانت شخصية أم مؤسسية، وهذا بدوره أدى الى خروج هذه المجموعات من الحيز الخاص الى الحيز العام، وادت هذه العملية الى مشاركة التجارب الشخصية، مما أعطاها قيمة مشتركة، وأدخلها ضمن بناء الذاكرة الجمعية للفلسطينيين، وهذه العملية في بناء ذاكرة مشتركة من خلال المجموعات الشخصية ، أدت بدورها الى خروج التجربة من نطاقها المحلي، والجغرافي الضيق، الى نطاق عالمي فبامكان أي فلسطيني حول العالم أن يجد تجربته الشخصية وذاكرته أو ذاكرة أجداده من خلال استنطاق المواد

المؤرشفة، وهذا بدوه يعطي قيمة انسانية وعالمية على التجارب الشخصية، مما يساعد على عولمة الذاكرة ومن خلالها عولمة فلسطين، كقضية انسانية عادلة وآخر استعمار استيطاني يحاول محور الذاكرة الجمعية للشعب الفلسطيني.

رقمنة الرواية الشفوية:

الأرشيفات كما أشار دريدا بنفسها وعن نفسها " خرساء"، بعبارة اخرى غير ناطقة، نحن من يجعل الارشيفات تتحدث. وعليه وقبل أن تكون هذه الأرشيفات خرساء، وبصورتها المجازية، فإنه يجب عرضها على شخص ما هنا الباحث أو السياسي، وفي مكان آخر المواطن المعني بالامر، " بغض النظر عن موقع هذا المواطن وبكلمات اخرى تتحرك الارشيفات من حالة عدم الوجود إلى حالة عدم الرؤية، الى حالة عدم النطق، انتهاء ووصولا الى حالة التعبير[15]. الناس، سواء أكانوا ناشئين أم محترفين، يأخذون الارشيفات عبر هذه المراحل، وهذا الإجراء اعتمدته عدد من مشاريع الرقمنة من خلال العمل الذي تقوم به بالتعامل مع الكم الهائل من الوثائق " أو الفيل الخرافي " كما يسميه روجر هيكوك من أجل تحريره . من أجل خلق أرشف مضاد، وهذه الأرشيفات المضادة في التجربة الفلسطينية المعاصرة تحاول سد فجوة من النقص سواء من حيث طبيعة المواد وندرتها أو القدرة على الوصول اليها والحصول عليها.

في هذا السياق نشأ العديد من المواقع الإلكترونية التي تنشر التاريخ الشفوي الفلسطيني، وكان لافتًا تنوع مراميها والقائمين عليها؛ فعلى سبيل المثال، هناك مؤسسات تعمل على أرشفة هذا التاريخ بشكل علمي كمشروع "أرشيف التاريخ الشفوي الفلسطيني"، في الجامعة الامريكية في بيروت، ومنها ما يعمل على السباق مع الوقت ونشر أكبر كمّ من المقابلات قبل موت جيل النكبة، ومنها تجارب عائلية، ومنها تجارب باحثين وأفراد إلى درجة أن إحدى المؤسسات الإسرائيلية المناهضة للاحتلال حاولت تأريخ النكبة على طريقتها.

[15] روجر هيكوك، مصدر سابق، ص174.

كذلك نلحظ تنوعًا في اهتمامات المواقع الإلكترونية الفلسطينية/ وهو ما يؤشر إلى وعي اجتماعي بالتاريخ لدى منشئي هذه المواقع من خلال اعتمادهم آليات تربط التجارب الفردية بسياقاتها الاجتماعية، وتجعل الماضي جزءًا من الحاضر. وبهذا، تتدرج هذه المواقع من العام إلى الخاص، ومن الكلي إلى الجزئي، فتربط قضايا النوع الاجتماعي، والقضايا المعيشية والتربوية والسياسية، بالقضية الأم، وتجيب بامتياز عن إشكالية العلاقة بين الذاكرة والتاريخ، وبين الوعي الفردي والوعي الجمعي، والتي لا تزال مطروحة أمام المؤرخين الذين يعتمدون التاريخ الشفوي كمصدر من مصادر المعلومات الأساسية عن الحياة السياسية والاجتماعية.

أرشيف التاريخ الشفوي الفلسطيني

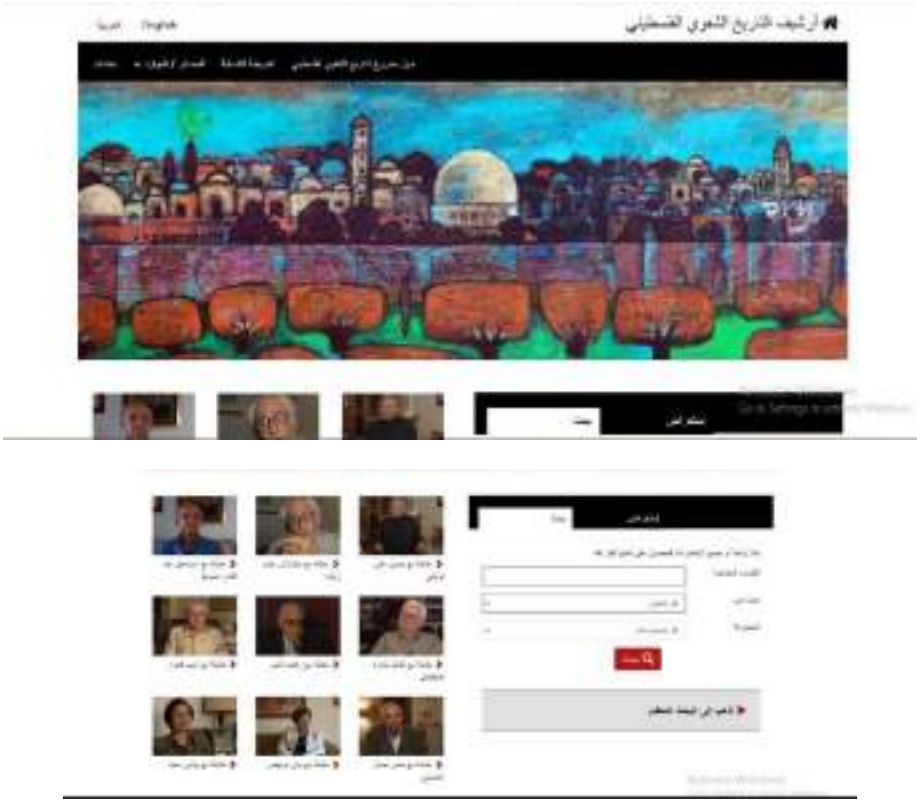

وهو عبارة عن مشروع يتشارك في تنظيمه مجموعة مؤسسات تضم: "مؤسسة جنى"؛ "أرشيف النكبة"؛ "معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية"؛ مكتبة "الجامعة الأميركية في بيروت". ويحتوي الأرشيف الشفوي على 800 مقابلة مع

الأشخاص الذين عايشوا نكبة 1948ن والذين هم موجودون في المخيمات الفلسطينية في لبنان، أي ما يعادل 1000 ساعة تسجيل. ويضم الأرشيف رواية هؤلاء الأشخاص لحياة فلسطين قبل سنة 1948، وتجربة اللجوء، وتأسيس المخيمات، وكذلك تجربة النساء في مخيم عين الحلوة خلال الاجتياح الإسرائيلي في سنة 1982، وفيه أيضًا حكايات وأغان شعبية فلسطينية. وتتضمن مراحل المشروع، وفق مديرته هنا سليمان، تحويل مواد التسجيل إلى مادة رقمية (ديجيتال) ثم الفهرسة، وتعريب البرنامج، ويتم تقسيم المقابلة إلى عدة أجزاء، وكل جزء يوصف وفق المضمون الذي يحتويه، كما تُعطي معلومات عن الشخص الذي تُجري المقابلة معه (اسم الشخص؛ من أي قرية في فلسطين؛ عمله؛ إلخ). وتلائم تعابير الفهرسة التجربة الفلسطينية ومفرداتها، وتُعتبر الأدوات الرقمية حديثة وسهلة الاستخدام. فمثلًا، يتم تقسيم واحدة من المقابلات مع محمود الهندي إلى: الطفولة والتعلم؛ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في فترة ما قبل الانتداب البريطاني وخلاله؛ أحداث 48: التهجير والطرد وتجربة اللجوء؛ إلخ.، مع احترام معايير الأرشفة لسياق الراوي. كما سيتم إنشاء موقع إلكتروني للتاريخ الشفوي الفلسطيني يحتوي على جميع المقابلات بمختلف أجزائها، لتسهيل عمل الباحثين في الاطلاع على العناوين المراد معرفتها.

الرقمنة " الأرشيف المضاد والذاكرة[16]

هو الأرشيف الذي يقوم المستَعمر ببنائه في محاولة لتحرير ثقافته وتاريخه من الاستعمار، يعمل من خلاله على تشكيل حقل معرفي جديد يتجاوز استخدام دلالات الاستعمار وتجلياته، وذلك عبر ابتكار أساليبه الخاصة في إنطاق الأصوات التي أسكتها الاستعمار. وهذه العملية "الأرشيف المضاد" يمكن اعتبارها نوع من العنف الضروري المصاحب لتفكيك الاستعمار ومقاومته على حد تعبير فانون في كتابه "معذبو الأرض" إذ يقول: "..مقاومة الاستعمار ظاهرة عنيفة على الدوام، وتفكيك الاستعمار هو – ببساطة شديدة – إحلال لأنواع معينة من الرجال محل أنواع أخرى، وهو تحول كامل ومطلق ودون مراحل انتقالية، ودليل النجاح يكمن في تبدل البنية الاجتماعية كاملة من القاع إلى القمة. إن تفكيك الاستعمار ليس عصا سحرية، ولا صدمة من صدمات الطبيعة، ليس تفاهمًا أخويًا، إنه كما نعرف عملية تاريخية، إنه لقاء قوتين متعارضتين أصلا وبطبيعتهما، لقاؤهما الأول اقترن بالعنف، ووجودهما معًا ظل مقترنًا بالعنف على الدوام.[17]

أيضاً هناك تسميات أخرى للأرشفة المضادة منها الأرشفة البديلة، والأرشفة المغايرة، وهذه العملية تشترك في أنها نوع من التحدي للرواية الإستعمارية، فهي تعمل على إنتاج رواية مضادة ومغايرة وبديلة للرواية الإستعمارية، من خلال توظيف الإمكانات التكنولوجية، والإستفادة من الفضاء

[16] الإلكتروني، الذي يقدم نوع من حرية العمل بعض الشيئ، ولهذا فالارشيف المضاد هو نوع من المقاومة ومحور في الحفاظ على الذاكرة الجماعية.

[17] فانون، عند أشكروفت، بيل وآخرون. (2005). الإمبراطورية ترد بالكتابة آداب ما بعد الاستعمار: النظرية والتطبيق. ت خيري دومة. عمان: أزمنة للنشر والتوزيع، ص 11

ومن هنا جاءت التوجهات البحثية الحديثة لتكشف عن ذلك العنف المغروس في الأرشيف الذي يمنح بعضها مرتبة الأرشيف ويبرزها كذاكرة شاهدة على التاريخ، بينما يهيل الركام على أرشيفات أخرى ويستثنيها من تفاصيل الذاكرة ومن كتابة التاريخ. وبحسب جاك دريدا: "فإن القضية التي على المحك هنا، هي عنف الأرشيف ذاته، كأرشيف، كعنف أرشيفي، كل أرشيف هو في الوقت ذاته مثقف ومحافظ، ثوري وتقليدي. فالأرشيف الاقتصادي بهذا المعنى المزدوج يحتفظ ويحفظ ويوفر، ولكن بطريقة غير طبيعية كأن تقول سن القانون (nomos) أو جعل الناس يحترمونه، فالأرشيف له قوة القانون، القانون الذي هو قانون المنزل، المنزل على اعتباره مكانًا، عائلة وكان إقامة، نسبًا، أو قانون المؤسسة[18].

يبرز هذا العنف عند بشارة دوماني كما يتضح في دراسته المعنونة "أرشفة فلسطين والفلسطينيين"[19] من خلال لحظتين مفتاحيتين في تشكل الأرشيف، اللحظة الأولى هي "لحظة إنتاج النص نفسه" والتحكم به من خلال إجراءات الوثائقيين الذين يخضعون لقانون المؤسسة التي تمثل الدولة، واللحظة الثانية هي لحظة استخدام هذا النص من قبل المؤرخ، فقد أقر المؤرخون القدامى والمحدثون أن عملية كتابة التاريخ هي عملية ذاتية، وأن "المؤرخين لا ينفصلون أبدًا عن غاياتهم"[20]، يدعي المؤرخ من خلالها التزامه الشخصي بسيرورة المعرفة إلا أنه يخضع في النهاية "لالتزامه الاجتماعي أو بمعنى أدق المؤسساتي"[21]، فهو يقوم بتحديد واختيار الموضوع الذي يهمه بفرضية مسبقة دون الأخذ بعين الاعتبار اهتمامات الآخرين، ثم ينتقي الدلائل والبينات التاريخية التي تشكل أفضل فهم لتدعيم تفسيره وتأويله، وبهذا الصدد يقول بول ريكور[22]: "لا يستشير أحد الأرشيف من دون مشروع تفسير، من دون فرضية فهم، ولا يبذل أحد جهده في تفسير مجرى أحداث من دون اللجوء إلى استعمال صيغة أدبية مناسبة ذات طابع سردي أو بلاغي أو متخيل". [23]

---

[18] derrida, Jacques and eric prenowitz. (1995). Archive fever: a freudian impression. The johns Hopkins university press, p12

[19] دوماني، بشارة. مصدر سابق، ص 15.

[20] ريكس، توماس.. "التأريخ الشفوي والقضية الفلسطينية". من يصنع التاريخ: التاريخ الشفوي للانتفاضة دليل المعلمين والباحثين والطلبة. سيرين حليلة وجهاد الشويخ (تحرير). القدس: مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي.1995، ص 79.

[21] ريكور، بول (2009). الذاكرة التاريخ النسيان، ترجمة جورج زيناتي. بيروت: دار الكتاب الجديد، ص495.

[22] بول ريكور هو رائد التأويلية الفلسفية في الفكر الغربي المعاصر، تركزت أعماله الفكرية على الزمن، والسرد، وابستمولوجية المعرفة التاريخية، له مؤلفات عديدة منها: "الزمن والسرد"، "الذاكرة والتاريخ والنسيان"، و"الذات عينها كآخر".

[23] ريكور، مصدر سبق ذكره، ص212.

هاتان اللحظتان معًا "تعتبران من أشكال إنتاج الأمة والهوية الجمعية، وعلاقات القوة فيما بينهما ، وهذا ما أطلق عليه بول ريكور ب "هندسة التاريخ" التي من شأنها أن تحدث انقطاعًا معرفيًا مفاجئًا يوجه التحليلات التاريخية بعيدًا عن "البدايات الصامتة"[24]، ويتحول الأرشيف من خلال هذه العملية "هندسة التاريخ" ليصبح مكانًا لإنتاج المعرفة بعد أن كان مصدرًا لها.

وهنا يصبح ذا فائدة أكبر أن يتم النظر إلى الأرشيفات كجوانب يدرسها الإنسان "لمعرفة كيف تقال الأشياء" وليس لمعرفة ما تقوله تلك الأرشيفات[25] ، وبالتالي يتم مساءلة الوثيقة التاريخية للبحث عن إجابات لأسئلة تسد الثغرات في شروط المعرفة البشرية حول واقعة تاريخية في الزمن الماضي، وتتركز هذه الأسئلة حول: من هو المؤرخ؟ وإلى أي مؤسسة ينتمي؟ وفي أي ظرف تاريخي بدأ مشروعه التاريخي؟ وغيرها من الأسئلة التي تنظم الوثيقة وتأمرها وتصف مل له علاقة بها وما ليس له علاقة.

في الحالة الفلسطينية يكتسب "عنف الأرشيف" صبغة ذات دلالة أكثر وضوحًا بالنظر إليه في سياق صراع الفلسطينيين الطويل والمرير المستمر منذ عقود مع قوة استعمارية توفرت لها كل الوسائل الهيمنة التي مكنتها من بناء خطاب قوي ومسيطر للرواية الصهيونية وتهميش الرواية الأصلية وحكايتها، مما ضاعف من وعي الفلسطينيين بضرورة إعادة كتابة روايتهم التاريخية كاستجابة للتحديات التي يفرضها الواقع على حماية ذاكرة مجتمع محتل عانى التشريد والضياع منذ عام 1948، وكاستراتيجية للحفاظ على بقائه ومقاومة محاولات تغييبه ومحو وجوده، وذلك في ظل غياب أرشيف فلسطيني "جامع" نتيجة سياسات التشريد والمصادرة والاستيلاء على الأرشيفات الفلسطينية، كما نبه الفلسطينيين إلى ضرورة تسجيل التاريخ مباشرة من أصواته الأصلية، وتعويض النقص في الوثائق الأرشيفية، خاصة مع غياب شرائح من المهمشين والمهملين والمستبعدين من الرواية التاريخي، فجاء اهتمام الباحثين والأكاديميين في العقود الأخيرة بتشكيل أرشيف مضاد لا يكتفي بالأرشيف المكتوب وحده كمصدر للمعرفة بل يستند أيضًا إلى الرواية الشفوية بأصوات الفاعلين الأصليين مقابل الأرشيف الاستعماري، وفي محاولة لقلب الرواية الصهيونية وتقديم معرفة للمنطقة والعالم عن فلسطين والفلسطينيين كما حدثت فعلًا. وهذا ما يؤكد ضرورته الباحث الفلسطيني عادل يحيى

[24] fouault, michel. 1972 The archaeology of knowledge. Trans. A.m.sheridan smith. London: tavostock, p. 4.

[25] هيكوك، روجر وكارولين مول ديبياسي.مصدر سابق، ص172.

حيث يقول: "إنني أميل للاعتقاد، ربما مثل معظم المؤرخين الفلسطينيين، أن استخدام منهج البحث في التاريخ الشفوي، هو أهم تطور شهده حقل الدراسات التاريخية الفلسطينية في العصر الحديث[26].

وانطلاقًا من مقولة جاك دريدا "أنه لا سلطة سياسية دون السيطرة على الأرشيف، بل وعلى الذاكرة" تجري دراسة العنف المغروس في الأرشيف على ثلاثة مستويات: عنف الأرشيف الاستعماري الذي أنتج رواية صهيونية لها أهدافها وتوجهاتها بما تقتضيه متطلبات الصراع، وعنف الأرشيف الرسمي المكتوب بما يحمله من قداسة النص التي ترقى إلى شرعية القانون والقائم على فرضية "أن سلطة المثقف كما هو معرفة في التقاليد الغربية التاريخية تتشكل أرضيتها على المراجع النصية أكثر من الكلمة المحكية"[27]، و"عنف الأرشيف" المضاد الذي يدفع بالمهمشين والمغمورين الذين استثنتهم الرواية التاريخية إلى دائرة الصراع ليشكلوا تهديدًا للطرف المستعمر وروايته.

رقمنة التاريخ المحلي: الأرشيف المحلي لمدينة الخليل

[26] عادل يحيى. (بدون تاريخ). مشاريع التاريخ الشفوي الفلسطيني إلى أين. المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي.
[27] الآن، ديانا ك. (2006). "النكبة في التاريخ الشفوي". مجلة حق العودة، العدد 20، ص17.

كيان ثقافي تطوعي الأول من نوعه في محافظة الخليل، تكون هذا الفريق تباعًا من خلال العمل المشترك بعد تأسيس صالون ثقافي يهتم بالشأن الثقافي في مدينة الخليل عام 2011 على يد مجموعة من المهتمين بالشأن الثقافي ، حيث كان هذا الكيان عبارة عن تجمع عفوي تم من خلاله عقد عدة انشطة بشكل دوري من خلال التنسيق مع المؤسسات المحلية، ثم تطورت الفكرة من أجل إنشاء مؤسسة عصرية منفتحة الأفق على الإنتاج الأدبي وتنوعه من أجل عدم ترسيخ السائد وخلق جو تفاعلي متنوع قائم على أسس انسانية وذات طرح عالمي، ليتم الإعلان رسميًا عن تطوير الندوة الثقافية لتعمل تحت اسم نادي الندوة الثقافي.

خزائن: رقمنة التاريخ الراهن:

خزائن هي مؤسسة مستقلة ، مركزها القدس، انطلقت في تشرين أوّل عام 2016 نتيجة تضافر جهود شباب عربي من مختلف العالم بهدف بناء أرشيف مجتمعي يوثق الحياة العربية اليومية وقصص الناس من خلال جمع مادة "الأفيميرا" . ترى خزائن أن هناك أرشيفات عربية توثق العديد من الجوانب فهناك أرشيفات

الصحف والمجلات والأفلام، أرشيفات الصور والسينما والاذاعات، ولكن لا يوجد هناك أرشيفات تحوي وتحفظ المنشورات اليومية والتي توثق تفاصيل الحياة اليومية كما عايشها الناس ببساطتها وغزارتها. آلاف المواد تضيع يومياً دون أن ينتبه أحد لها آلاف: الملصقات، والمنشورات، والمطويات، الإعلانات التجارية والثقافية، بطاقات العمل، دعوات الأفراح. تضيع هذه المواد يومياً دون أن يعيرها أحد اهتمام لكنها تحوي في داخل توثيق لمناطق وأشخاص ولتفاصيل قد لا نجدها في أي مكان لاحقاً. فالمواد التي قد تبدوا بسيطة وبلا أهمية، قد توثق أسماء مناطق نسفت، وأشخاص استشهدوا – كما في حالة فلسطين بعض الدول العربية – وأماكن لم تعد موجودة، لتصير هذه المواد الشاهد الأخير على حقبة مهمة من تاريخنا، تحفظ ارثاً كاملاً بتفاصيل اليومية، وتشكل ذاكرة للمجتمع بأكمله، لتكشف الكثير من الحقائق التاريخية والتحولات والتبدلات الدقيقة من خلال التاريخ الاجتماعي. كما أنها توفر فرصة ثمينة لدراسة التجربة الاجتماعية. جاء اختيار الاسم "خزائن" أولاً كاستلهام تاريخي حيث استخدمت هذا المصطلح دوماً للدلالة على المكتبات في التاريخ الإسلامي، كخزائن بيت الحكمة في بغداد وخزائن القيروان وخزائن قرطبة. وثانياً انطلاقاً من توجهها في العلم حيث تسعى لبناء أرشيف مجتمعي يساهم فيه الجميع، بحيث توضع مساهمة كل فرد ضمن خزانة خاصة به لتكون خزائن هي "خزائن الناس". تأمل خزائن أن تستطيع حماية أكبر قدر ممكن من المنشورات اليومية.

لكل ورقة حكاية
BOYCOTT

لكل ورقة حكاية

الرقمنة: الإتاحة والاستدامة:

أرشيف فلسطين في الذاكرة

وهو مشروع غير ربحي تأسس في سنة 2000 لخدمة الشعب الفلسطيني، ويعتبر الآن من أكبر وأهم المواقع الفلسطينية في شبكة الإنترنت. وكان الدافع الرئيسي وراء إنشاء هذا الموقع بحسب القائمين عليه: "حفظ الذاكرة الفلسطينية من الضياع والعبث." وقد باشر الموقع في سنة 2003 في إنشاء مشروع التاريخ الشفوي للنكبة، وأجرى حتى اليوم أكثر من 600 مقابلة تحتوي على أكثر من 3000 ساعة مع أشخاص عاصروا النكبة الفلسطينية في سنة 1948. كما يحتوي على مئات الصور من فترات تاريخية مختلفة، مما يتيح للمستخدمين اضافة المواد والتعليق على المحتوى، مما يعمل على انتاج روايات مختلفة حول المواد من مستخدمين منتشرين في مناطق جغرافية مختلفة حول العالم، يتاركون فقط بالذاكرة الجمعية حول فلسطين وتاريخها

يكمن السبب والذي يُعتبر هاماً فيما يتعلق بإعداد الأرشيف بشكل متزايد مؤخراً بشكل عام، في أنّ الأرشيفات الرقمية والالكترونية توفّر خصائص جديدة، خاصة مع قدوم الانترنت. إن هذه "النقلة" في الممارسات المتعلقة بالأرشفة تؤكّد ما يسمّيه بعض المفكّرين "إرساء الديمقراطية" بالنسبة للأرشيف. كما أنّه من المؤكّد وجود بُعد أفقي قوي للويب. حيث يتضمّن بوضوح النطاق الأوسع للذاكرة الجمعية ويحدّد القصص السردية؛ حيث أنّ تشكيلة كبيرة من المواقع الالكترونية، والمدوّنات الالكترونية، والمنتديات، وقنوات اليوتيوب، وصفحات الفيس بوك وغيرها قد أصبحت بشكل متزايد مركزاً رئيسياً لمجتمعات اللجوء والمشرّدين أو المنفيين. إنّ سهولة الوصول إلى المحتويات، وإمكانية التفاعل مع مستخدمين آخرين والمساهمة بشكل سهل للغاية في إعداد هذه

الأرشيفات الالكترونية (تُعتبر التجارب السابقة أمثلة في هذا الصدد)، بالإضافة إلى الوصول بشكل سلس إلى إعادة الإنتاج التقني للوثائق والمصادر والصور، الخ. تُعتبر جميعها عناصر تعكس حدس الفيلسوف دريدا بأنّ القابلية للأرشفة لا تؤثر فقط على وسائل وأساليب الأرشفة، بل تؤثر أيضاً على محتوى الأرشيف نفسه. في الواقع، بالنسبة لحمّى الأرشيف،. هذا ما يؤكّد على مساهمة دريدا الأساسية حيث لا يمكن أن يكون هنالك أي شكل من الموضوعية في الأرشيف كسجلّ، ولكن، تعتبر العلاقة بين الأرشيف وما يساهم في جمعه مرنة:

كما أنّ الهيكلية التقنية للأرشفة تحدّد أيضاً هيكلية المحتوى القابل للأرشفة حتّى فيما يتعلق بتكوينه وعلاقته بالمستقبل. وتساهم الأرشفة في الإنتاج والإعداد بمقدار ما تساهم بتسجيل الحدث.

عولمة ماضي القدس: Open Jerusalem:1940 _ 19840

يركز المشروع على أرشفة رقمية لمصادر متنوعة حول القدس (1840–1940)، ما يجعله مساهمة مباشرة في الإنسانيات الرقمية من خلال تحويل الوثائق التاريخية إلى قاعدة بيانات رقمية متصلة. كما يقدم المشروع رؤى جديدة في دراسات الشرق الأوسط من خلال توثيق الحياة اليومية، المؤسسات الحضرية، والتفاعلات بين الطوائف والأقليات، موفّرًا سرديات متعددة تتجاوز التحليلات التقليدية المبنية على الصراع أو السياسة."

يمثّل مشروع «عولمة ماضي القدس Open Jerusalem / 1840–1940» نموذجًا تطبيقيًا لتقاطع الإنسانيات الرقمية مع دراسات الشرق الأوسط، إذ يوظّف الأدوات الرقمية في جمع وفهرسة وربط أرشيفات تاريخية متفرقة جغرافيًا لإعادة بناء تاريخ القدس الحديث. فمن خلال تحويل الوثائق الإدارية والاجتماعية إلى

قاعدة بيانات رقمية قابلة للبحث، ينسجم المشروع مع مبادئ الإنسانيات الرقمية القائمة على إتاحة المعرفة وتحليلها متعدد التخصصات. وفي الوقت ذاته، يقدّم مساهمة نوعية في دراسات الشرق الأوسط عبر إعادة قراءة تاريخ القدس بعيدًا عن السرديات الأحادية، مركّزًا على المدينة بوصفها فضاءً اجتماعيًا متعدد الجماعات والعلاقات خلال العهد العثماني المتأخر وفترة الانتداب. وبهذا، لا يكتفي المشروع برقمنة الأرشيف، بل يعيد توظيفه لإنتاج معرفة نقدية جديدة حول تاريخ القدس وسياقاتها الإقليمية.

رقمنة الصورة والبحث عن الذات:

الصورة نص مزدحم بالتاريخ، بالتفاصيل، تفاصيل اللحظة المحنطة، هي نص مفتوح للقراءة وإعادة القراءة والتأمل.

في نص لصبحي الزبيدي بعنوان " ترحاليون رقميون"[28] يمكن من خلاله تقديم تجربة واقعية لما سبق ذكرة حول دور الأرشفة الرقمية في إعادة انتاج رواية حول صورة فردية، ووضعها ضمن الذاكرة الجماعية لقرية مهجرة، بحيث أعطت الرغبة لعديد من الناس على اختلاف انتشار موقعهم الجغرافي، أن يشاركو ذكرياتهم ومعلوماتهم الشخصية عن الصورة، فاحالتها هذه التجربة الى اهتمام جماعي، وأدت الى تبادل المعلومات حولها، فنتج عنها رواية متماسكة، وذات إهتمام جماعي، فأخرجتها الرقمنة من الشأن الخاص والفردي الى الشأن الجماعي. وينطبق هذا على كثير من المحتويات الرقمية على اختلاف فلسفتها ونظرتها للأرشفة، فكل منها يقدم محتوى بطريقة مختلفة، ويبقى للمتلقي طريقته في استخدام هذا المحتوى بالطريقة التي يراها مناسبة.

"الفلسطينيون ليسوا ترحاليين، لكنهم أكثر من مهاجرين: إنهم لاجئون، أو منفيون، أو مبعَدون، أو شهداء، أو أسرى. إنهم يزاوجون بين نماذج من "الوجود هناك، دون أن يكونوا، فعلاً، هناك"... لا يمكنني نسيان المرة الأولى التي زرت فيها موقع "فلسطين في الذاكرة": وجدت صورة لأبي في قريته، أخذت قبل العام 1948 مع فريق كرة القدم. تساءلت عن الشخص الذي حمَّل الصورة. سجَّلت في الموقع، وكتبت ملاحظة أن والدي كان في الصورة. أردت أن أشارك أي قصص يمكن أن تكون هناك عن الصورة، وكان لدي العديد من الأسئلة:

[28] صبحي الزبيدي: فنان، وكاتب، ومخرج سنمائي فلسطيني، قدم أفلام فازت بجوائز، حول اللجوء الفلسطيني، وسياسات الذاكرة والنسيان.

هل لعبوا مباراة ذلك اليوم؟ ومع من؟ ومن هم هؤلاء الأشخاص الذين لا يرتدون ملابس الرياضة، ومن ضمنهم أبي؟ وثمة رجل واحد يلبس طربوشاً، من هو؟ وماذا عن الرجل بالبدلة؟ وأين هم الآن؟

مع مرور الأيام، بدأت الملاحظات تُكتب. قام أحدهم بتحديد هوية الشخص على أقصى اليمين: إنه الأستاذ محمود "شهبندر تجار الشام." كتب آخر إنه كان سعيداً لرؤية صورة جده، فيما عبَّأ ثالث أسماء الأشخاص. الرجل الذي يلبس الطربوش كان أستاذ مدرسة. الكتابة العربية تقول: (النادي الرياضي بالسافرية سنة 1940). أما الكتابة الإنجليزية المطبوعة، فتقول) "safria village palesti " :كلمة فلسطين غير مكتملة). لكن العربية مكتوبة على قطعة ورق ملصقة بالصورة، ما يفيد بأنها صورة عن صورة. إن الذين كتبوا تلك الكلمات على الصورة، مستخدمين أساليب مختلفة، كانوا يثبِّتون الصورة في الزمان والمكان. الصورة التي عليها الكتابة، وصورة الصورة تؤلفان "مشهداً" أو "كوكبة" أو صورة زمنية للقرية ولهؤلاء الأشخاص.

...لقد كان من شأن التعليق أن يحيل هذه الصورة من "صور شخصية" إلى "صور نصيَّة،" إلى "نظام مزدوج التشفير للاختزان والاستعادة." لقد كان من شأن تضمين نص أن يحيل الصورة من حاضر غائب إلى غائب حاضر".

الصورة : السافرية، أبي في عام 1940، المصدر: www.palestineremembered.com

خاتمة:

يمكن أن تقدم الأرشفة الرقمية تحديا للقوى السياسية التقليدية، وتحدياً للروايات الأيديولوجية ، وللدعاية الإعلامية التي تقدمها مؤسسات اعلامية تقدم رواية مناهضة للفلسطينيين وحركتهم الوطنية، كذلك تعمل الأرشفة الرقمية على إعادة إنتاج مجتمع فلسطيني مرتبط بقضايا مشتركة خارج الحدود السياسية والجغرافية المصطنعة، وإعادة تنشيط الذاكرة الجماعية لمجتمعات الشتات وربطهم بفلسطين الحقيقية كأرض جامعة للفلسطينيين. إن الأرشفة الرقمية، تتيح للشباب والنساء واللاجئين، أن يقدموا روايتهم ونظرتهم للمستقبل وإعادة قراءة الماضي، ليس للحزن على الماضي وإنما للخروج من المأزق السياسي، وأيضاً لتحدي ظروف الإبعاد والحرمان بكافة اشكالها وإحداث التغيير.

وبالنظر إلى طبيعة التكنولوجيا الحالية التفاعلية بشكل متزايد، فإنّ القصص السردية التي يتم إنتاجها من خلال الأرشيفات "المعنية بنشر الديمقراطية" و"الأفقية" للانترنت. لا يمكن أن تكون نفس القصص السردية التي يتم إنتاجها من خلال الأرشيفات "الرسمية" والتقليدية والمسموح بها. إن طبيعة الأرشيفات الالكترونية التي تتميز بأنها تفاعلية ويسهل الوصول إليها وتعتمد على المستخدم و"المفتوحة" افتراضياً بشكل أساسي تساهم في إنتاج القصص السردية غير الثابتة و"المفتوحة": حيث أنّ الهيكلية التقنية تؤثر على المحتويات، كما أنّ العلاقة بين "الوعاء" والمحتوى تعتبر في الواقع مرنة بشكل جليّ.

على الرغم من ذلك، إن "نشر الديمقراطية" أو "الأفقية" المذكورة سابقاً التي تتميز بها الأرشيفات الالكترونية تطرح سؤالين: أحدهما يتعلق بـ "أخطار" التوسّع وتسليع الأرشيف نفسه المترتّب على ذلك، بينما يتعلق السؤال الآخر بالقصص السردية ، ويشمل ذلك ما قد نسمّيه "ركام" التاريخ. كما قام أشيل مبيمبي بتحليل ما

يسمّى بـ "أخطار" نشر الديمقراطية والعناصر المتعلقة بـ "الركام" ودمجها معاً في مقاله "قوة الأرشيف وحدوده". إن العلاقة الرئيسية التي أنشأها مبيمبي هي بين الأرشيف والموت: الملكية المشتركة للوقت؛ وهو الشعور الذي قد نكون جميعنا بناءً عليه شركاء في الوقت الذي يمكننا من خلاله أن نمارس حقوق الملكية الجماعية.

تحتلّ المجموعات الأرشيفية الشخصية والمؤسسية، إلى جانب التاريخ الشفوي، موقعًا محوريًا في إنتاج المعرفة حول الشرق الأوسط، لما تحمله من سرديات بديلة تكشف عن تجارب الأفراد والمؤسسات خارج الأطر الرسمية للدولة. وفي ظل محدودية الوصول إلى الأرشيفات الحكومية، سواء بسبب القيود السياسية أو الإغلاق المؤسسي، أصبحت هذه المجموعات مصادر أساسية لإعادة كتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي والسياسي للمنطقة.

في سياق الإنسانيات الرقمية، شهدت هذه الأشكال الأرشيفية تحولات نوعية من حيث طرق الجمع، والحفظ، والوصف، والإتاحة. فقد أسهمت التقنيات الرقمية في رقمنة الأرشيفات الشخصية والمجموعات المؤسسية الصغيرة، وإدماج شهادات التاريخ الشفوي في منصات رقمية تفاعلية، مما أتاح إمكانات جديدة لتحليلها وربطها زمنيًا ومكانيًا وشبكيًا. كما ساعدت هذه الأدوات على كسر المركزية المعرفية، وإبراز أصوات مهمّشة لطالما غُيّبت في السرديات التاريخية السائدة.

وتكتسب هذه التحولات أهمية خاصة في حقل دراسات الشرق الأوسط، حيث تتداخل الذاكرة، والهوية، والسياسة، والاستعمار ، والنزاع، بشكل وثيق. إذ لا تقتصر الأراشيف الرقمية في هذا السياق على حفظ المواد، بل تصبح فضاءات نقدية تُعاد فيها مساءلة مفاهيم مثل السلطة الأرشيفية، والتمثيل، والمصداقية، وأخلاقيات البحث، ولا سيما عند التعامل مع شهادات التاريخ الشفوي وما تحمله من أبعاد حساسة تتعلق بالذاتية والتجربة المعاشة.

وعليه، تسهم الإنسانيات الرقمية في إعادة تعريف العلاقة بين المجموعات الأرشيفية الشخصية والمؤسسية والتاريخ الشفوي من جهة، ودراسات الشرق الأوسط من جهة أخرى، من خلال توفير أدوات تحليلية ومنهجية تُمكّن الباحثين من إنتاج معرفة أكثر تعددية وشمولًا، وتفتح آفاقًا جديدة لفهم تاريخ المنطقة وحاضرها بعيدًا عن الاحتكارات الأرشيفية والسرديات الأحادية.

الكلمات المفتاحية: الأرشيف الرقمي، الأرشيف المضاد، الأرشفة البديلة، الذاكرة الجمعية، الموروث الثقافي

المصادر

الآن، دياناك. "النكبة في التاريخ الشفوي". مجلة حق العودة، العدد20، 2006.

توماس، ريكس "التأريخ الشفوي والقضية الفلسطينية". من يصنع التاريخ: التاريخ الشفوي للانتفاضة دليل المعلمين والباحثين والطلبة. سيرين حليلة وجهاد الشويخ (تحرير). القدس: مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، 1995.

دوماني، بشارة. "أرشفة فلسطين والفلسطينيين: إرث إحسان النمر". أوراق عائلية دراسات في التاريخ الاجتماعي المعاصر لفلسطين. زكريا محمد وآخرون (تحرير).الطبعة الأولى.القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية، 2008.

ريكور، بول. الذاكرة التاريخ النسيان، ترجمة جورج زيناتي. بيروت: دار الكتاب الجديد، 2009.

الزبيدي،صبحي ، "ترحاليون رقميون: الأوطان_الأرض والأوطان_الصفحات،" ترجمة عبد الرحيم الشيخ، مجلة تبين،العدد 33_ المجلد التاسع، صيف 2020.

فانون، عند أشكروفت، بيل وآخرون. الإمبراطورية ترد بالكتابة آداب ما بعد الاستعمار: النظرية والتطبيق. ت خيري دومة. عمان: أزمنة للنشر والتوزيع، 2005.

القادري عيسى،نهاوند. الذاكرة الفلسطينية في ضوء التكنولوجيا الحديثة، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 70، صيف 2016.

كوثراني، وجيه، الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل: دراسات في البحث والبحث التاريخي، بيروت: دار الطليعة، 2002.

مسعد، جوزيف. آثار استعمارية تشكل الهوية الوطنية في الاردن، القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، 2019.

هيكوك، روجر وكارولين مال_ ديبياسي، تحرير الفيل الخرافي: ترقيم الأرشيف الشفوي في كتاب اللاجئون الفلسطينيون: حقوق، وروايات، وسياسات، بيرزيت_ فلسطين: معهد ابر اهيم ابو لغد للدراسات الدولية، 2001

يحيى. عادل، (بدون تاريخ). مشاريع التاريخ الشفوي الفلسطيني إلى أين. المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي.

derrida, Jacques and eric prenowitz. Archive fever: a freudian impression. The johns Hopkins university press,1995.

Michel, fouault,The archaeology of knowledge. Trans. A.m.sheridan smith. London: tavostoclk, 1972.

Stoler, lauraAnn. .Sense Common Colonial and Anxieties Epistemic: Grain Archival the Along. 2009.